Al-Maqamah Al-Fikriyah Al-Saniyah fi Al-Mamlakah Al-Batiniyah

Al-Fikri



المقامة الفكرية السنية

فى المملكة الباطنية

(تعريب)

الأديب الأريب واللوذعى اللبيب

(عبد الله فكرى باشا)

(ناظر المعارف سابقا)

(طبعة أولى)

على ذمة ملتزمه حسن على الطبجى

(سنة ١٣١٥ هـ ١٨٩٨ م فى شهر شوال)



بسم الله الرحمن الرحيم

يامن له الملك والملكوت يارب الكبرياء والجبروت يامن هو الاول والآخر واليه المصير يامن هو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير نحمدك اللهم تبركا بذكرك واسالك الاعانة على حسن شكرك ونستوهبك من صلات الصلاة اسماها ومن تسنيم التسليم والتحيات اسناها لحضرة نبي الخير والكرامه الهادي الى صراط الاستقامه وسبيل السلامه واله وصحبه اولى البصيره المعروفين بحسن السيرة والسريره وبعد فيقول راجي احسان ربه البليغ عبد الله فكري بن محمد بليغ قد كنت عثرت في بعض اسفاري سابقا الى القسطنطينيه دار الخلافة السنيه بكتاب لطيف الاسلوب باللغة التركيه يعرف بالمملكة الباطنيه واصله من بعض الالسن الاجنبيه فنقلته الى اللغة الشريفة العربيه بصورة مقامة ادبيه وضممت اليه بعض زيادات اظنها لا تخرج عن المطلوب وتصرفت في عباراته مع المحافظة على اصل الاسلوب وبالله الحول والطول وهذا اوان الشروع في القول

حدثنا ابو المقال بن ذاكر عن الخيال بن خاطر قال قعدت اتفكر في عجائب الزمان وغرائب عالم الامكان وما في صنيع الرحمن من بديع الاحسان ثم ما للانسان مع فصاحة اللسان من المزايا الحسان وما منحه الله من تمييز وما اتاه سبحانه من عقل عزيز وبصيرة تقوده الى هداه وترده عن مهاوي هواه ثم اخذت اتامل ما قيل في هذه البصيرة تامل الناقد فذكرت ما قيل من انها في جميع افراد العالم بقدر واحد وما

قيل من انها تختلف في الانسان باختلاف الحال والشان والزمان والمكان ثم رجحت هذا القول على الاول وجعلت عليه المعول فكم بين الجاهل والعالم والمفرط والحازم والشيخ الكبير والصبي الصغير والناشئ في الامصار والذى فى الجبال والقفار والمعاشر للعلماء والاتقياء والملازم للجهلاء والاشقياء فانا نرى بينهم بونا كبيرا ونجد بين بصائرهم تفاوتا كثيرا الا أن كل واحد منهم فيه اصل البصيره تحثه على الخير وتكفه عن الضير وتصعده الى معارج الهدى وتبعده عن مدارج الردى وانما تناقضها الشهوات والاغراض وتعارضها فى بعض امرها الامراض والاعراض فتمانعها عن اعمالها وتعكس عليها بعض آمالها ولكنها مع ذلك لا تألو الجهد فى مناصحة العقل وكفه عن السلوك فى مسالك الغواية والجهل والكشف له عن حقائق الخير والشر والعرف والنكر والنفع والضر والحق والباطل والحلى والعاطل وحثه على التمسك باذيال العدل والاعتدال ومجانبة الافراط والتفريط فى جميع الاحوال اذ لا يمكن الوصول الى السعادة الابديه والراحة السرمديه الا بهذا الاعتدال فى جميع الاقوال والافعال فالعقل فى المملكة الانسانية كالملك الكبير والبصيرة له بمنزلة الوزير الناصح المشير والهوى كالجليس الخائن والصاحب المائن المداهن فيستمد العقل برأى البصيرة فى الامور فترشده الى الخيرات وترده عن الشرور الا اذا غلب الهوى على العقل باعانة الشهوات والجهل فانه يحسن له القبائح ويدعو الى ارتكاب الفضائح واهمال ما تبديه البصيرة من النصائح فتحذره البصيرة سوء العواقب وتبين له ما فى ذلك من المعايب والمعاطب ويحسن الهوى ما يدعو اليه ويحث الانسان عليه فيغطى على ما فيه من الآفات بما يكسوه من رداء الشهوات وغشاء اللذات فهو يموّه بالشهوة الحاضره واللذة العاجله والبصيرة تحذر من المضرة القابله والتهلكة الآجله فاذا احسن الهوى مثلا معارضة احد فى امواله او التعرض له بما يشين فى شئ من احواله بينت البصيرة ما فى ذلك من العار والشنار وما يترتب عليه من الاخطار وسوء الذكرى مدى الاعصار فيموّه الهوى بما فى ذلك من لذة تقتنى وثمرة شهوة تجتنى

فتعارضه البصيرة بان ذلك المظلوم ربما انتصر وان لم يعنه احد فلربما اعانه القدر وتضرب له المثل بعواقب الغادرين ومعاطب الماكرين وسوء احوال الظالمين وما اصابهم في العالمين فيقول الهوى لله در الذي يقول

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فتقول البصيرة احسن منه الذي يقول

واذا هممت بأمر ورد فالتمس * من قبل مورده طريق المصدر

والذي يقول

ولذة ساعة مرت فولت * وابقت بعدها حسرات دهر

وهكذا حتى يغلب احد الجانبين ويترجح واحد من المذهبين فمن غلبت بصيرته على هواه فاز بالمنى والسلامه ومن غلب هواه على بصيرته وقع في العنى والندامه كحال من يغلب على نصح النصوح المأمون غش الرفيق المنافق الخؤون ويستبدل قول الخبير العاقل بقول الغرير الجاهل ومهما حصل لاحد البشر من شر وضرر او خطا وخطر فانما سببه اهمال راى البصيره في كبيرة من الامور او صغيره وكم من صغيرة صارت كبيره ورب شرارة صارت نارا وكلمة جرت دمارا وخربت ديارا وكم كثير اصله يسير وكل كبير اوله صغير قال الراجز

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الأفيل
وسحق النخل من الفسيل

وقال يزيد بن الحكم

فاعلم بني فانه * بالعلم ينتفع العليم
ان الامور دقيقها * مما يهيج له العظيم

وقال عنترة

قد يبعث الامر الكبير صغيره * حتى تظل له الدماء تصبب

ولا يكاد يخلو أحد من الناس حاشا من عصمه الله بتقواه من العدول ولو في بعض الأمر عن موافقة العقل الى مرافقة هواه فمن مائل للتفريط والقصور ومن قائل بالافراط في جميع الامور والسعيد الموفق من يراعي الاعتدال في كل حال ومكان وان

لم يقدر عليه فى جميع الامور فعلى قدر الامكان والعجب ان كل واحد وان ضلت اعماله وخابت آماله وساء حاله ومآله انما يبغى سعادة الحال وراحة السر والبال ولهذا الغرض يسعى ويجد ويجتهد فى تحصيله ويكد وعنده من العقل حاكم عادل ومن البصيرة ناصح عاقل وبهما يمكن له ان يتوصل لما اراد ويحصل على خيرى المعاش والمعاد ثم نراه يبطل رايهما ويعطل سعيهما ويرد ما يبديانه اليه من الراى القويم ويصد عما يهديانه اليه من الصراط المستقيم فيفوت ما اراده من السعاده ومع ذلك لا يقلع عن هذه العاده وهذا لعمر الله عجب عجاب طالما كنت اسال عن سره فلا اجاب فجلست اجيل قداح الانظار واقدح فيه زناد الأفكار واحاول ان اقف على السر واكشف الغطاء عن حقيقة الامر واعرف كيف يترك الانسان ما ينفع بما يضر ويشترى باختياره ما يحزن بما يسر ويخالف هذا الناصح الشفيق باهمال أمره بعد ان جرب شؤم ذلك فى الكثير من عمره فما زلت اتفكر ويذهب التفكر جفاء وما تزداد المسألة الا خفاء ولا الشاردة الا جفاء حتى لاح لى شكل روحانى وشخص نورانى لم اشك فى انه ملك ربانى يعرف بنور البصيره ويتصل باصل السريره قد تجلى لى عيانا وشافهنى بيانا وقال خفف عليك هذا الحال فلا سبيل الى حل هذا الاشكال الا بسياحة مملكة الباطن ومعرفة ما فى تلك المواطن فانهض الى هذه السياحة لتبلغ ما تريد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فقلت ايها الملك السعيد من لى بهذا المرمى البعيد فقال ويكأن الله يفعل ما يريد ومسح وجهى بيده الكريمة وهو يقول فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فغشيتنى حالة اذهلتنى عن الوجود وشغلتنى عن كل موجود واذا بالانوار ظهرت ومملكة الباطن سفرت فبسملت وحمدلت وتقدمت فدخلت فاذا مملكة واسعه واقطار شاسعه وخلائق مجتمعه وطرائق متبعه ومراحل ومنازل ومصانع ومعامل واذا أهل هذا الملك الكبير فى عدد كثير وجمع غزير وكلهم دائب فى خدمته دائم على همته لا يفتر عزمه ولا يقتر عما يلزمه وهم مع ذلك يحترزون عن التعب والالم والمرض والسقم والهم والغم مائلون الى اللذات الانسيه والشهوات النفسيه لا يبتغون عن ذلك عوضا ولا يبغون سواه غرضا وفى هذه المملكة الجسيمه كثير من

المبانى العظيمه والديار اللطيفه والآثار الظريفه مما يروق الناظر ويعجب الخاطر
وفيها انهار دافقه وجداول رائقه ومجارى مياه متناسقه قد انقسمت فى انحائها
لتزنوى منها جميع اجزائها وهى مع كثرة تفرقها تتصل ببعضها وتدور على جميع اجزاء
الجهة فى سمائها وارضها وطولها وعرضها بدورة عجيبه وصورة غريبه لا تكاد تقف
عليها الافكار كما انها تحجب دونها الابصار وهواء هذه المملكة فى الغالب حار ملائم
الا ان هذا الامر ليس له بدائم بل هو كثير التبدل دائم التحول وكثيرا ما يحدث فيها من
العواصف والرياح القواصف ما يعجز عنه وصف الواصف حتى يكاد يجز بالمملكه
ويجر على جميع اهلها التهلكه ورايت اهلها ايضا متبدلى الأوضاع متلونى فى الاخلاق والطباع

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول

فتثور بينهم الشرور فى كثير من الامور لكثرة ما يقع من المعارضه والجدال والمناقضه
لما بينهم من مباينة الاهواء ومخالفة الاراء وقد تعرض لهم الافكار المناسبه والاراء
الصائبه فتخالفها اللذات والشهوات والاغراض والحاجات فالمروءة واللطف
والمرحمه قد يعارضها حب الجاه والحرص على نفوذ الكلمه وكذلك الحلم والتدبر
يعارضه الغضب والتهور وهكذا يخالف كل منهم قرناءه ويريد ان يروج اراءه
ويحب ان يغصب زمام الرياسه وان ينفرد بالتدبير والسياسه فيشتد بينهم النزاع
والجدال ويكثر القيل والقال ويزيد الاختلال الى ان يجمعوا على شئ يقررونه وعند
ذلك يجرونه وكان كل ما يدور بينهم من الكلام ويجرى عندهم من الاحكام يختص بسياسة
مملكتهم وادارة حركتهم ورايت عندهم خمسة من الامراء واكابر الوزراء فى مثابة
السفراء يختص بهم معاملة الممالك الخارجيه والمواصلة بينهم وبين الجهات
الاجنبيه يعرفون فى هذه المملكة الزاهره بالحواس الخمس الظاهره واعجب ما
رايت عندهم من سوء الحال ودواعى النكال وهو من اعظم الأسباب الداعية
لوقوع الفتن والاختلال ان هؤلاء الوزراء يستشيرون فى بعض الامر جماعة
تسمى بالاغراض النفسية من اهل الفساد وطائفة ايضا تسمى بالخصال الذميمة
من اهل الشر والعناد والبغى والاستبداد والزيغ عن طريق السداد وكلاهما مصر
على رايه مصمم على غيه وبغيه فيشيرون بما يخالف صوب الصواب ويعاب عند

ذوى الالباب ويمتزج مالهم من سقم الآراء باقوال اولئك الخمسة الامراء وتسمع سائر رجال الدولة ما تلقيه هذه الحواس الخمس اليهم وهم يعتمدون فى جميع الاقوال عليهم ويثقون بما لديهم

واذا كان فى الأنابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

فيسرى للجميع ما يسرى من تلك الآراء السقيمه ويحدث عنها ما يحدث من الشرور والمصائب العظيمه الا ان حزب الاغراض بينهم تفاوت كبير ولهم اختلاف فى الطباع والاوضاع كثير فمنهم الكريم الوفور والرحيم الصبور فهو يدعو الى الخير فى جميع الامور ويصد عن الفساد والشرور ومنهم من هو ذميم السيره خبيث السريره مبغض للخير والبر محب للفساد والشر فيشير بما يضر البلاد والعباد واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد فلما رايت هذه الاحوال الغريبه فى هذه المملكة العجيبه راعنى ما رايت من امرها ولم اهتد الى خفى سرها وظننت ان ادارة الحكم فيها بالجمهورية لا بالملك والاستقلال وزعمت ان ذلك سبب ما اراه فيها من الفتنة والاختلال كما يقع عادة فى الممالك الجمهورية من مثل هذه الاحوال بسبب ما يظهر فيها من الفرق المتعارضه وما يكون لهم فى احكامهم من الاراء المتناقضه فهذا ما ذهبت بادئ بدء اليه وعولت فى توجيه احوال المملكة عليه ولكن لم يتيسر لى فهم ما رايته بحقه ولم اعرف من بينهم احدا أثق به واعتمد على صدقه فبقيت متفكرا مضطربا متحيرا باهتا متغيرا متشوقا للمعرفة الحقيقه ولا اجد من يدلنى على الطريقه واذا بشخص عظيم كأنه ملك كريم هو رئيس طائفة سريه تسمى عندهم بالمقاصد الخيريه يسعى دائما فى تسكين الفتن واخماد نار المحن واعادة الصلح والصلاح وتسنية اسباب النجاة والنجاح وتحصيل السعادة الابديه والراحة السرمديه فعلم ما صرت اليه من الغربه ورثى لما انا عليه من الكربه فنظر الىّ واقبل علىّ وقال ايها المسكين والبائس الحزين قد علمت من اطوارك انك رجل اريب وفهمت من عدم استقرارك انك فى هذه المملكة غريب وانك متحير فى امرك متردد فى فكرك تريد ان تعرف الأمر ولا ترى من يعرف السر فرثيت لغربتك واتيت لتفريج كربتك وساعرفك هذه

الاحوال خبرا وخبرا وانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا فقلت كأنك والله كوشفت بظاهر امرى وخافيه وقد نفست عنى بقولك بعض ماكنت فيه فشكر الله لك هذا الفضل العظيم وان شئت اتمام الاكرام فعرفنى باسمك الكريم فقال اسمى الفراسه وقد منحنى الله قوة الكياسه واطلعنى على خفايا السرائر فلا تخفى على خبايا الضمائر

ولا علم لى بالغيب الا طليعة * من الحزم لا يخفى عليها المغيب

ويرحم الله ابن الرومى حيث يقول

* وخبئ الفؤاد يعلمه العا * قل قبل السماع بالايماء *
* وظنون الذكى انفذ فى الحـ * ـق سهاما من رؤية الاغبياء *

فظنى والحمد لله هو النظر الصحيح ونظرى ولا كفران لله هو الكشف الصريح

فقد صرت لا الفى الذى استزيده * ولا يذكر الشئ الذى لست اعرفه

وقد جئت لاهديك باذن الله السبيل واكون لك فى هذه المملكة من قبيل الدليل واشرح لك ما خفى من كل امر غامض فاجعله واضحا جليا يا ابت انه قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا فقلت قد اسبغت النعمه وكشفت الغمه فاخبرنى اولا عن الدولة الحاكمة فى هذه الأمه فقال ليست كما تظن دولة جمهورية وانما هى سلطنة تحكم بالاستقلال والقائم بالحكم فيها ملك روحانى يرسل اليها من لدن مالك الملك ذى الجلال فيقوم بتدبيرها وادارة امورها ورعاية مصالحها وملاحظة فاسدها وصالحها حتى تنتهى ايامه فتنقضى حينئذ احكامه وقد قضت حكمة المليك القاهر على ذلك الملك الكريم الطاهر ان يقيم فى تخت هذه السلطنة من لحظة واحدة الى مائة سنة وان زاد على ذلك فنادر والله على ما يشاء قادر فاذا انتهى امده المحدود ووافاه يومه الموعود خلع من هذه الرياسة والسياسة راغما وخرج على الفور من هذا الملك الذى كان فيه حاكما ليرى فى مآله جزاء اعماله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار فعند ذلك يحاسب

هذا الامير على النقير والقطمير من كل ما عمل في هذه الحكومة الصعبة والملك الخطير فقلت سبحان الله اعليه صعوبة في ادارة المملكه مع ماله من عظيم الشرف وزيادة الملكه وشرف ارومته على اهل حكومته وهل يجد في ادارة حكومته مانعا او يرى من رعيته ممانعا لاسيما وقد علموا مزيد فضله عليهم وارساله من قبل الحق سبحانه اليهم وانهم دونه بدرجات كبيره وهو متميز عليهم بمزايا كثيره فهم بالضرورة يسارعون لاجابة داعيه خصوصا وقد جربوا كثيرا من حسن تدبيره ويمن مساعيه فكيف يعقلون عن ماثره حتى يعرضوا عن اوامره او يتعرضوا لمعارضته ويجسروا على مناقضته كلا بل مثل هذا الملك العاقل والحاكم الحكيم العادل تقابل اوامره بالقبول والاقبال ونواهيه بالطاعة والامتثال فيسهل عليه سياسة ما تحت حكمه من الامم كما يسهل على الراعي سياسة الغنم فمن اين تاتيه الصعوبة في اجراء الحكومه واصابة الغرض من افعال البر المرومه فقال انت في هذا الكلام معذور فانك لا تعلم حقائق هذه الامور

اذا ملكت قلب الفتى من اموره * ظواهرها استعصت عليه السرائر

فاعلم ايدك الله بانواره وارشدك الى معرفة اسراره ان هذا الحاكم المعروف باسم العقل والمعبر عنه بالنفس الناطقة في كلام اهل الفضل لما ولاه الله هذه الحكومة السنيه واولاه هذه المملكة الكريمة الباطنيه جعله مشاركا لاهلها في العلائق الانسيه وجميع الاغراض الطبيعيه والاشتياقات النفسيه لتتم سعادة حالهم براحة بالهم ويظهر ماله من قوة الملكه وكمال الحكمة والحنكة وساهمهم في الطبيعة الماديه وقاسمهم فيما لهم من الامور المعنويه فهو يتاثر بما يعرضهم من الافات ويتلذذ بما يرونه من المستلذات فمهما عرض في الحكومة امر يتفاوض فيه او يراد اجراؤه رجع فيه الى اقوال الخمسة الحواس الذين هم وكلاؤه وسفراؤه وامراؤه وامناؤه واستشار فيه من اكابر دولته واعيان حضرته طائفتي الخصال الذميمة والاغراض النفسية وهم ايضا ندماؤه وقرناؤه فيشيرون عليه بما يشيرون ويدبرون له ما يدبرون ثم لا يبت امرا خيرا كان او شرا حتى يعرفه بنفسه ويدركه بحسه وحتى يحصل عليه اجماع الجمهور وعلى ذلك تدور سفن الامور

فتعال اوصلك الى محل ظريف لترى فيه هذا الملك الشريف وتدخل معي الى مجلسه الكبير وتسمع ما يكون من المفاوضة في التدبير وتعلم حال من يدخل دار سلطنته من وزير وامير وصغير وكبير واعلم ان من احوال هذه الدولة ومقتضى قوانينها المرعيه وعاداتها الشرعيه ان لا يحتجب الملك ابدا عن احد من افراد الرعيه وذلك بلا تخصيص ومن غير استثناء فيدخل كل واحد منهم مجلسه العام في اى وقت شاء فلا يمنعهم احد ولا يحصر الداخلين عدد ثم انه تقدم وانشد

يا ابن الكرام الا تدنو فتنظر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

فزدت تحيرا بما سمعته ولكني سكت فسار وتبعته وقلت لعلي ارى ما يزيل حجاب الوهم ويفتح لي ان شاء الله باب الفهم فسرت في سبيلي والفراسة دليلي فعاينت في الطريق بعض تعب وشقا وعانيت بعض عقبات صعبة المرتقى ورايت بعض موانع لم اكن اؤملها ولكن كان دليلي بقدر الطاقة يسهلها وصادفت بعض العوام الرعاع من سفلة الرعية والاتباع وقد علموا اني غريب في دورهم غير عالم بحقائق امورهم فصاروا يشيرون الي ببعض المسالك ويقولون ان حضرة سلطاننا هنالك يريدون ان يموهوا علي بذلك وصاروا يترامزون والى جهتي يتغامزون ويقول بعضهم لبعض في السر انظروا لهذا الجاهل الغمر والاحمق الغر قد لقنوه ان حاكمنا العقل يسمى الروح والنفس الناطقه وظن هذا الغريب المسكين لجهالته انها قضية صادقة ولم يعلم لحمقه ان الروح امر غير موجود فجاء ارضنا يبحث عن شئ ليس له في الحقيقة وجود ومنهم من يقول قف عندنا فلا غاية بعدنا الى كثير من الرمز والايماء والطنز والاستهزاء واللوم والتقريع والطعن والتشنيع وكنت اسمع هذا الكلام واتجلد لوقع سهام الملام ولا اعدل عن السبيل ولا اقصر في متابعة الدليل

قال لي حسن كل شئ تجلى * بي تملى فقلت قصدي وراكا

فلما سرت غير بعيد في طلب هذا الملك السعيد رايت بعض الظرفاء وظننته من العرفاء فتقدم الي وسلم علي واشار الى محل سرى يعرف بالقلب الصنوبري وقال اياك ان تتعداه ان كنت ممن يطلب هداه فنظرت فاذا جمع يفوق الحد ويفوت مراتب العد من خواص وعوام في احتشاد وازدحام وخلق اليه يهرعون ولديه يجتمعون

وعنه يصدرون ويفقبهم آخرون لا ينقطع الوارد والشار ولا يعرف الاول ولا الآخر
فقلت لا شك ان هذا مجلس الملك ومركز مصالح الدولة ولم اردان انخطى ذلك المكان
وقلت ان كان ولابد فههنا السلطان فاشار الى الدليل الا تقف فسترى ان شاء الله
وتعرف فسمعت واطعته وتقدم وتبعته وسرنا نطوى المنازل ونقطع المراحل
من طريق الى طريق حتى وصلنا الى مضيق خرجنا منه الى قبة بديعة على ربوة رفيعه
ينصل بها كل ما اشتملت عليه المملكة فى جميع انحائها من مواردها وطرقاتها ومسالكها
وجداول مائها وفى هذه القبة من الانوار اللامعه والأشعة الساطعه ما يغشى
الابصار ويدهش النظار حتى لم يكد يتيسر لى تمييز من بها من الحضار لكثرة الانوار
الا بامعان النظر واتعاب البصر فنظرت فى خلال لمعات الشعاع فاذا جماعة مختلفو
الاوضاع متباينو الصور والهيئات والطباع ما بين صغير وكبير وطويل وقصير
وقوى وضعيف وجسيم ونحيف وهم يعرفون بالاشتياقات واللذات والاغراض
والاهواء ومع كل واحد مرآة كثيرة الاضلاع لماعة الشعاع ينعكس فيها ما فى القبة
من الاضواء فيظهر كثير من الصور والاشكال والالوان البديعة المثال فكان بصرى
يضعف عن مقاومة هذه الانوار وقلبى يتعجب من غرابة ما رايت فى تلك الدار
حتى انى لفرط ما هالنى من غرابة الامر وانه لم يسبق لى به عادة فى سالف العمر لم أميز
فى اول الحال شكل العقل الحاكم فى ذلك القطر بوجه اليقين وعلى صورة التعيين
لكن رايت كثرة ما له من الأنوار فوق ما لغيره من الحضار وما يعلوه من الهيبة والوقار
فاخذت بالظن والتخمين انه العقل المشهور وتأيد ما فهمته من ذلك باخبار دليلى
المذكور ثم نظرت اليه فرايت عنده امرأتين ظريفتين عفيفتين قد زانهما الحسن
والجمال وعلاهما الادب والكمال وفى يد كل واحدة شعلة تسطع نارها وتكاد
تغشى الابصار انوارها وعندهما جاريه جثتها عاريه وفى يدها مرآة كثيرة
البريق مستورة بغشاء رقيق فكانت تديرها الى ... ولا تزال تجلوها على
فسالت الدليل عنهن فقال احداهن الاستقامة والثانية العفة والثالثة
السلامة والملك يعتمد عليهن ويخشاهن ويركن اليهن ثم نظرت فاذا فى الطرف
الآخر شابة ذات جمال فاخر ودلال ظاهر وحسن زاهر وسحر باهر وهى تسمر

العقول بالفاظها ونسحر القلوب بالحاظها

اذا ابصرت قلبا خليا من الهوى * تقول له كن مغرما فيكون

وعلى راسها تاج من الزهر كالكواكب لدى البدر ورايتها تتكلم بفصاحة لسان وتتفنن في اساليب البيان فلما وقع بصري عليها لم اتمالك ان صبوت اليها وكدت اصير اسير جمالها ورهين حبالها وصريع نبالها فسالت دليلي عنها وقد تفرس ما اصابني منها فقال هذه تعرف في المملكة الانسانيه بالشهوة الحيوانيه وهي مع مالها من الجمال عارية عن خلال الكمال مجبولة على المكر والخيانة والغدر وكم وراء هذا الحسن والزين من عار وشنار وشين

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فالحذر الحذر من مكرها والفرار الفرار من شرها ونكرها ولا تنظر لما فوق راسها من الازهار ولكن انظر الى ما تحت قدمها من الاخطار فرجعت البصر اليها ونظرت لما تحت رجليها فاذا مهلكة شنيعه ومهواة فظيعه تهول الناظر وتروع الخاطر يسمع منها انين ورنين وبكاء وحنين وصياح مرتفع ونحيب لا ينقطع تتصدع لفظاعة مرآها ومسمعها الاكباد وتكاد تتزعزع لشدة هولها الاطواد فامتلأت فزعا وكاد ينخلع قلبي هلعا وجزعا وادركني لمن وقع في هذه الورطة البعيدة القعر من الرحمة والشفقه والرأفة والرقه ما يقصر دونه البيان ويكل في وصفه اللسان فقلت انا لله ولا حول ولا قوة الا بالله كل هؤلاء اوقعتهم الشهوة في هذه الغائله ورمتهم بكيدها في هذه الورطة الهائله فنعوذ بك اللهم من الندامه ونسئلك حسن السلامه والعفة والاستقامه ثم اني عذت بالله من شرها وصرفت نظري عن تلك الجهة باسرها ووقفت النظر في جهة ذلك الملك العادل لعلي انسى ما رايت من ذلك المنظر الهائل فاذا عند تخت سلطنته عن ميسرته وميمنته امور عجيبة واشياء غريبة تستوقف الطرف وتستدعي الوصف وبينها شخص مهيب المنظر عجيب الخبر والمخبر حديد المزاج بعيد العلاج قوي شديد عنيد مريد قليل التفكر والتدبر كثير التهور والتكبر وهو يلحظ الحاضرين شزرا ويوسعهم فحشا وهجرا ويكثر لمن يكلمه نهرا وزجرا وهو اعرج احمق اهوج اخرق

لا يمس شيئا الا مزقه ولا يعالج امرا الا اتلفه وخرقه فقلت للدليل ما هذا الشخص العجب فقال هذا هو الغضب ثم رايت في طرف آخر شخصا نحيل البدن طويل الحزن اصفر اللون احمر العينين اضناه الهم وافناه السقم والغم وباحدى يديه قدح فيه سم ناقع وفي اليد الأخرى منه سيف قاطع وهو لا ينفك يسكب السم على بدنه وراسه ويجرح بذلك السيف الباتر اعضاء نفسه فقلت من هذا الشخص البادي الكمد البالي الجسد فقال هذا هو الحسد ثم رايت شخصا رفيع المكان بديع البيان قوي الجنان في يده آلات لطيفه وادوات ظريفه واسلحة لامعه بديعة الصناعه فاعجبني حسنها وراقني لونها ولكني دققت النظر فرايتها تقطر نجيعا وتتصبب سما نقيعا فقلت اعوذ بالله من هذا الذي اراه فقال هذا حب الجاه ثم نظرت فاذا شخص سيئ الحال كاسف البال ظاهر البلبال رث الملبس قبيح المنظر والملمس في حالة يضحك منها المقهور ويستخف لها الوقور

وسخ الثوب والعمامة والبر * ذون والوجه والقفا والغلام

قد اعترته الامراض وغيرته الاعراض وانحلته الهموم وابلته الغموم وهو جالس على كرسي منصوب فوق رابية من ذهب مضروب وهو خائف من نفاده مجتهد في ازدياده وخلفه صبية يلعبون ويغنون ويطربون ويضربون بالدفوف ويصفقون بالكفوف رايتهم يسارقونه النظر ويفرقون ماله شذر مذر فقلت من هذا اللئيم الفج قال هذا هو الشح ورايت عند العقل امراة عاقله كاملة فاضله كانها حاسبه تكتب كلما راته او سمعته وتحفظ كل ما استودعته في اقرب من وحي الكف واسرع من لمح الطرف لا تذر جليلة ولا حقيره ولا تغادر صغيرة ولا كبيره وعندها شخص ابله يستغفلها ويسرق بعض ما سطرته وشيخ هرم يتلف كل ما بقي بعد ذلك مما حررته فعرفت ان الكاتبة هي القوة الحافظة في الانسان وذلك الابله هو النسيان وذاك الشيخ الهرم هو الزمان ثم رايت الكرم في قبالة البخل وهو بمكانة من الشرف والفضل مرتفع القدر منشرح الصدر طاهر النفس ظاهر الانس يجود من الموجود ولا يتكلف المفقود

ولا يسرف في الجود ورأيت الكبر ثاني عطفه شامخا بين اقرانه بأنفه يانف من ابناء جنسه وينفر من ابناء انسه ويجر رداء التعالي ويخطر في رداء التغالي وينظر الى كل احد نظر المبغض القالي وامامه الدناءة قد لزمت صف النعال ورضيت بكل ما زان وشان من جميع الافعال ورفضت الأنف ظهريا وجعلت الشرف شيئا فريا فهي مع الكبر في طرفي نقيض هو في الأوج وهي في الحضيض وهكذا كل شئ كنت ارى امامه ضده واشاهد ما يشاكله ويناسبه عنده

فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبيه الشئ منجذب اليه

ورايت بين الجميع العدل وهو أجل وزراء العقل كان في وسط الجميع جالسًا في مكان رفيع وهو يصلح بينهم في جميع الاحوال ويدعوهم الى التوسط والاعتدال في جميع الاقوال والافعال فهو ينهى عن الاسراف والتبذير كما ينهى عن البخل والتقتير وينفر من الدناءة والاستكانة والذلة والمهانة كما يحذر من التكبر والأنفة والتجبر وهكذا كان دأبه في جميع الأمور يقبح الغلو والافراط كما يقبح التقصير والقصور وفي يده ميزان تخرج الشعره وتبين الذره وهي ميزان العدالة والسداد يرد بها ما نقص مثل ما يرد ما زاد ثم رايت امراة مخدرة معظمة موقرة يلوح عليها الجمال وتحيط بها ابهة الكمال ويبدو عليها اللطف والكرم ومحاسن الشيم وعلو الهمم ورايت كل احد يعظمها ويجيبها ويكرمها الا جماعة من الاسافل والاوباش الاراذل كانوا لا يوقرونها بل رايتهم يحقرونها ولكنها كانت لا تحفل بما يبديه اهل الفساد والشقاق كما انها لم تكن تنخدع بتملق اهل النفاق بل كانت تنظر فيما يعرض من الدعاوى والشكاوى بالعدل والحلم وتفصل فيها الحكم بالفطنة والذكاء والفضل والعلم ورايت على رأسها اكليلا من الزهر لا يذبل مدى الدهر فلا يزال يرف خضره ويتلألؤ بهجة ونضره ويجلب للعين قره وللخاطر مسره وخلفها شخص مهيب الصورة صعب المراس يرفل في سواد اللباس كانه من بقايا بني العباس وفي يده سوط مجدول يروع منظره القلب ويهول ورايت العقل يخاطب كل من حضر في ديوانه ويستشير هذه المرأة الفاضلة في جميع شانه فسر علي بمعرفة امرها وسالت الدليل عن خبرها فقال هي البصيرة المعروفة بحسن ارائها وهي من نبهاء هذه

الدولة ونبلائها واعظم امرائها ووزرائها وسلطاننا بوقرها ويخشاها ويحذرها
ويحرص على استجلاب قلبها وارضائها ويستنهض العامة والخاصة لموافقة
ارائها فتدور الامور على السداد وتطمئن البلاد والعباد ويتم المراد وقد يقع
بينهما الشقاق وتنحل روابط الاتفاق فيظهر كل منهما لصاحبه الخصومه
فيختل عند ذلك امور الحكومه ويتغلب في خلال ذلك الاختلال طائفتا
الاغراض النفسية والخصال المذمومة فيجدون فرصة لترويج ما يريدون
من الشر والفساد ويجدون في اقامة الحكومة الجمهورية المضرة بهذه البلاد
فيفسد حينئذ انتظام الاحوال ويعزلون حاكمنا العقل من ملكه الحاكم فيه
بالاستقلال فتشتد المصائب وينوب المملكة ما لا يحصر من النوائب
ويتعدى اراذل الناس واسافلهم على اعاظمهم وامرائهم وينهبون كل ما
ينتهون اليه من اموالهم واشيائهم ويصرفون جميع الواردات في السخف والسرف
ويأتون بكل ما يؤدي للتلف ويخل بالشرف من الظلم والغشم والنهب
والغصب فتفتقر الاغنياء ويضمحل الفقراء ويعم البلاء ويعظم الاضطراب
وتشرف المملكة على الخراب ويكاد يفضي هذا الحال والاختلال الى الوبال
بالمرة والزوال لولا ذلك الشخص المهيب القابض على ذلك السوط العجيب
الواقف خلف البصيرة على القدم المعروف في هذه المملكة الباطنية بالندم
فهو الذي يتأتى له حسم الفساد واعادة الصلح والصلاح بين العباد ويستخلص
عنان السياسة من ايدي الاغراض النفسية والخصال الذميمه ويسلمه لحاكمنا
العقل من يده الكريمة ويعيده لحالته القديمه وذلك بعد ان يؤدبه بذلك
السوط الذي في يده من خيزران برعى شرف سلطانه وعلو مسنده فتعود الاحوال
لما كانت من جمالها وتدور امور الملك على محور كمالها فهذا محل الندم وصنعته
وهذه مزيته في هذه الدولة ومنفعته ولكنه قد يمنعه من اداء هذه
الوظيفة في بعض الاحيان امرأة تسمى الالفة وهي الجالسة في ذلك المكان
فانظر نظر المتأمل اليها وتأمل ايضا هذه السلسلة التي في يديها فهي في النظر
صغيرة حقيره وفي ميزان العقل ثقيلة خطيره فانظر لسيماها وسخنة محياها

تجدها الليس عندها من الغرض اثر وليس لها الى شيء من الخير والشر في نفسه نظر وانما تتعلق بمن يكثر ترد ده اليها وتتكرر رؤيته على عينيها غير فارقة بين نافع وضار ولا بين فاجر وبار فهي كما قال ابو الطيب المتنبي

خلقت الوفا لو رحلت الى الصبا * لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وهي وان كانت نحيفه فلا تظنها عاجزة ضعيفه فانها قد تخالف البصيرة في ارائها وتغلب عليها في بعض الامور باهوائها وحينئذ تتعسر النجاة والنجاح ويسد على الدولة باب الصلاح والفلاح ثم قال اذا وعيت ما دار بيننا من الاقوال فقد عرفت اجمالا ما لهذه الخطة من الاحوال وقد رايت بعض المواضع المهمه وادركت عادات هذه الامه ورايت معظم اعيانها وكبرائها وعلمت من يدخل مجالسها العالية من امرائها فتعال بنا الآن نتقدم الى الامام لنسمع ما يدور في المجلس العالي من الكلام ونطلع على ما يبرم به من الاحكام فاني اري اربابه في احتفال عظيم واظنهم سيتفاوضون في خطب جسيم فهلم لنسمع ونري ونعرف ما جرى ثم سار الى نحو تخت السلطنة المستوى عليه سلطان هذه الأمكنه فسرت خلفه بين القائمين وجلست باشارته جهة اليمين وأنا اقول في نفسي يا هل ترى ماذا أسمع بعد وماذا أرى فلما استقر بي المكان وجلست اتأمل بقدر الامكان اذا بأحد السفراء الخمسة حضر وعرفت بالفراسة انه النظر فقام امام السلطان ما بين القوم وقال قد رايت في المملكة الفلانية كذا وكذا اليوم ثم قام من بعده السمع وقال بين اولئك الجمع انا ايضا سمعت كيت وكيت وما كذبت فيما حكيت والله خير الشاهدين وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فقال الملك ايها الملأ بم تشيرون وماذا ترون في هذه الحادثة وبم تامرون فقام حب الجاه من مقامه واستدعى الحاضرين لسماع كلامه وخطب خطبة مد فيها أطناب الاطناب واشار على الملك بما زعم انه الموفق لصوب الصواب وقال هذا هو الرأي الذي لا غبار عليه ولا ينبغي ان يشار الا له او يسار الا اليه فان لنا فيه النصر ومزيد الجاه والفخر وسعادة الرعايا والشرف بين البرايا فقد أخلت تلك الدولة بجاهنا

وعاملتنا بما لا ينبغي لاشباهنا وطلب من العقل ان يوافق على الراى المذكور ثم قعد مع كال الابهة والغرور فقال العجب لقد اجاد فيما افاد واشار بالحق والسداد فهذا راى مقبول وامر معقول يرشدنا الى الخير ويبعدنا عن الضير فلا ينبغي التأخر عن هذا الراى السديد ونحن اولو قوة واولو بأس شديد

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها * هوانا بها كانت على الناس اهونا

فقامت النخوة في حسن روائها وهي تجر رداء كبريائها وتختال في ثوب خيلائها وقالت نعم هذا راى نافع فلا ينبغي ان يكون له ممانع وقد اصاب حب الجاه في آرائه فلا ينبغي التعرض لمرائه فلما اكملت قولها وقعدت بين من حولها قام الغضب متنمرا وكلم الحاضرين متهورا وصار بالحظم شزرا وكأن عينيه تقدحان شررا وهو يقول يا قوم اين عزبت احلامكم وعزبت افهامكم اما آن أن توافقوا على هذا الراى السديد والتدبير المفيد أليس فيكم رجل رشيد اما فيكم من يهمه حفظ ناموسنا والعناية بوقاية شرف نفوسنا أهذا الراى مما يتردد فيه او ينازع في اجرائه نبيه اما فيكم من تحركه الحمية والعصبيه وقد اهانتنا هذه الدولة الاجنبيه فأخلت بمقامنا وازرت على احكامنا فلا بد من ايذانها بالحرب والبروز معها الى مواقف الطعن والضرب وتكليمها بلسان الصارم العضب

فان عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا * ان سوف تلقون خزيا ظاهر العار

وما زال في مثل هذه الاقوال وهو يقوم ويقعد ويقرب ويبعد ويبرق ويرعد ويصوب ويصعد ويدعو لواقفه حب الجاه على الراى الذى كان ابداه الى ان تحرك الحسد ووثب وثبة الاسد وقال يا قوم ما هذه الحيره واين الحمية والحماسة والغيرة عليكم بهذا العدو فانزلوا به النقم واسلبوا عنه كل ما عنده من النعم اما ترون ما له من المال واسباب الزينة والجمال وموارد القوة واسباب اليسار والثروة يوشك والله ان يضاهينا ويجارينا في الفخار ويباهينا وربما يشرف علينا ويسود فما لنا لا ننظر اليه نظر الحسود ونثب عليه وثبة الاسود وننزل به النوب السود فلما انهى مقاله قام البخل يجر اسماله ويمسح سباله وقدم مقدمة من علم تدبير المنزل وقال يا قوم ما لكم عن الحكمة بمعزل انكم اذا

قبلتم هذا التدبير وعدلتم في اجرائه عن طريق التبذير كثرت علينا موارد الغنى وبلغنا غايات المنى وهكذا كان كل بيدى افهامه ويروج على الحاضر بزاوهامه فالملك يستمع استماع الأريب ولكنه ينظر اليهم نظر المستريب فنهض الجمود والخمول والجمود وتعرضوا المعارضة هذه الجنود وقاموا بين الجلاس لكن في آخريات الناس وقالوا القد تعدى الغضب وقومه جدا وجاؤا من ذلك الرأي شيئا ادا مالنا وللنزال والنضال والتعرض للنبال والنصال فاحذر ايها الملك منهم وذرهم واعرض عنهم ولا تسمع اراءهم ولا تتبع اهواءهم فليس اتباع اراءهم من السنة ولا الفرض ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض

متى نرد الشفاء لكل غيظ * تكن مما يغيظك في ازدياد

اذا لم تتسع اخلاق قوم * يضيق بها الفسيح من البلاد

ولم تات هذه المملكة الاجنبية بما يغضبنا وان كانت ايضا لم تجئ في الحقيقة بما يعجبنا وهبا انها اهتضمتنا واساءت الينا وظلمتنا فالاولى ان نصبر على امرها ونطويها على غزها ونتغافل عن شرها ولله در الذي يقول

ولقد امر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمة قلت لا يعنيني

والذي يقول

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

فقام الجبن مبتعدا ووقف في آخر الجميع مرتعدا وانشد

ارى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون له ضرام

فان النار بالعودين تورى * وان الحرب اولها كلام

وقال يا قوم ما لنا نتهافت على المهلكة بالتعرض لقتال هذه المملكة واتقاء الشر اجزم والبقاء على النفس احكم وليس للمرء راس يدخره غير راسه ولا نفس ينتفع بها بعد نفسه

ولو ان لي راسين ادخر واحدا * والقى المنايا بعد ذا الرأس واحد

لاقدمت في الهيجاء اقدام باسل * ولم اك هيابا لوقع الشدائد

ولكن لي راسا اذا ما فقدته * وفارقني يوما فليس بعائد

وقال ابو سلامة

ولو كان لي نفسان كنت مقاتلا * باحداهما حتى تموت فاسلما

فتلاه الكسل متبعا وتكلم قاعدا مضطجعا وقال يا قوم ليس للراحة فيم وليس مثلها للعاقل غنيمه وليس في تعب النفس نفع ولو كان مع الراحة كما قيل صفع عنيت قول القائل دع الهوينا واكتسب وانتصب * واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة في معزل * فالصفع موجود مع الراحه

فقامت الاستكانة مع الخضوع وهما يذريان على الخدود سيل الدموع وقالا أرفق ما يكون اذا عز القرين ان نهون حتى نكفي امره ونأمن شره ولله در ابو العتاهيه حيث يقول ساهل الناس اذا ما غضبوا * واذا عز اخوك فهن

وقال محمود الوراق

دار الصديق اذا استشاط تغضبا * فالغيظ يخرج كامن الاحقاد

ولربما كان التغضب باعثا * لمثالب الآباء والاجداد وقال

السموال رب شتم سمعته فتصاممـ * ـت وغي تركته فكفيت

(قال الناقل) وما زال كل من الحاضرين يبدي ما عنده ويبذل في استمالة القوم لموافقته جهده فيقوم ضده يعارضه فيسفه رايه ويناقضه فقال الصبر من صبر ظفر ومن عجل خجل وأنشد

وعاقبة الصبر الجميل حميدة * واحسن اخلاق الرجال التصبر ثم أنشد

اصبر ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب ان يضجرا

اما ترى الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد اثرا

ثم تلا في آخر الخطاب انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فقال ضده

لا يصبر الحر تحت ضيم * وانما يصبر الحمار وأنشد

من حمد الصبر وحالاته * فلست بالحامد للصبر

كم جرعة للصبر جرعتها * أمر في الذوق من الصبر

وقال الحلم من ملك نفسه سالمته اعداؤه ومن عرف بالحلم كثرت أنصاره وأوداؤه

لا تحسبن الحلم منك مذلة * ان الحليم هو الأعز الأمنع

وقد قيل من غرس الحلم شجرا جنى العز ثمرا وقيل من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم ويقال ضبط النفس حجاب من المخافة وحلم ساعة يرد سبعين آفة وكظم الغيظ من محاسن المكرمات ومن لم يحلم عن كلمة سمع كلمات ثم أنشد لابي فراس

ماكنت مذ ماكنت الا طوع خلاني * ليست مؤاخذة الاخوان من شاني

يجني الخليل فاستحلي جنا يته * حتى ادل على حلمي واحسانی

يجني على واحنو دائما ابدا * لا شيء احسن من حان على جاني

فقال ضده من عرف بالحلم كثرت الجرأة عليه وامتدت أيدي الناس بالاساءة اليه وقد قال السفاح اذا كان العفو مفسده كان الحلم معجزه وأنشد لابي الطبيب

كل حلم اتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام وقال غيره

اذا كان حلم المرء عون عدوه * عليه فان الجهل اغنى وانفع وقالت الشجاعة تقول

يا نفس ان لم تقتلي تموتي * اذ تسلمي اليوم فلن تفوتي

ثم قالت قد جاء في الخبر ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية اوعقرب واي فائدة في الجبن اذا لم يكن لنا من الموت مهرب

فقد تدرك الحادثات الجبا * ن ويسلم منها الشجاع البطل

وربما كان الجبن ذريعة الهلاك والاقدام سبب النجاه وقد قال ابو بكر رضي الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياه

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

فقال ضدها ان الشجاعة تعرض للخطر وتوريط للنفس في الضرر وقولهم فر فلان اخزاه الله خير من قولهم مات رحمه الله قال محمد بن حمزة

باتت تشجعني هند وقد علمت * ان الشجاعة مقرون بها العطب

يا هند لا والذي حج الحجيج له * ما يشتهي الموت عندي من له أرب

وقالوا من جبن سلم ومن تهور ندم وقالوا السلم ازكى للمال وابقى لأنفس الرجال وأنشدوا

ماذاق هما كالشجاع ولا خلا * بمسرة كالعاجز المتواني

وقال الجود من جاد بالمال نال الآمال واستمال الرجال وسلمت نفسه من الاوجال والسخاء من السنه ومن اخلاق اهل الجنه ويقال سادة الناس في الدنيا الاسخياء

وفي الآخرة الاتقياء وقالوا جود الرجل يحببه الى اضداده وبخله يبغضه الى اولاده
وقالوا السخاء سخاآن سخاء نفس الرجل بما في يده يصون به عرضه من ذم اللئام ويخاوه
بترك ما في ايدى الناس يغلق عنه باب الملام ومن جمعهما فقد وهب اشرف اخلاق الكرام
وتواطأ على مدحه الخاص والعام

والبر اكرم ما حوته حقيبة * والشكر افضل ما حوته يدان
واذا الكريم مضى وولى عمره * كفل الثناء له بعمر ثان وقال

ابو الطيب واحسن شئ في الورى وجه محسن * وايمن كف فيهم كف منعم
واشرفهم من كان اشرف همة * واعظم اقداما على كل معظم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب او اساءة مجرم وقال الطاهر

ابن الحسين لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس يذهبها التبذير والسرف
فان تولت فأحرى ان تجود بها * فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

فقال ضده من اضاع ماله احتاج اليه ومن رشى عدوه اعانه عليه وقالوا ابقاء
المال للاقارب خير من الاحتياج للاجانب وقالوا يوشك من انفق سرفا ان يموت
اسفا وقالوا ما وقع تبذير في كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير في قليل الا اكثره
واثمره وربما عوقب المبذر بالافلاس وصار مثلة بين الناس قال ابن المعتز

يا رب جود جر فقر امرئ * فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالبخل خير من سؤال البخيل

وكان بعضهم اذا الدرهم وافاه خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بابي انت
كم ارض قطعت وكم خامل رفعت وسري وضعت ان لك عندي ان لا تعرى وانك لا
تضحى ثم يلقيه في الصندوق ويقول اسكن في مكان لا تحول عنه ولا تخرج منه
وكان للأعمش صديق من العمال عزل عن عمله وقد تأخر عليه مال للسلطان فحبس من
اجله فقصده يسليه متوجعا لما هو فيه ودخل عليه وقد حضر وقت الغدا
فرأى عنده لونا من الفالوذ فقال والله ما لازمت الوثاق الا بالاسراف في الانفاق
فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن في مضيق السجن مقعدك وفي وصية
بعضهم لولده وقد خاف عليه الدهر من بعده اي بني قول لا يدفع البلا وقول
نعم يزيل النعم وسماع الغناء برسام حاد يدخل على الانسان بالفساد لانه اقاسم

شرب واذا شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اعتل واذا اعتل جسمه انحل واذا انحل جسمه مات واذا مات فات والدرهم محموم ان حركته مات والدينار محبوس ان اطلقته طار وقد قيل اليمين الغموس تذر الديار بلاقع وانما يفعل ذلك الاسراف فى الواقع والاصدقاء هم الاعداء لانك ان احتجت اليهم منعوك واجتنبوك وان احتاجوا اليك ومنعتهم قرعوك وسبوك واذا لم يكن لك بد منهم فكن معهم كلاعب الشطرنج فى سيره يحفظ ما معه ويجتهد فى أخذ ما مع غيره وقالت الاستشارة المشورة لقاح الالباب ومفتاح النجح والصواب وقالوا من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العلماء ويجمع الى عقله عقول الحكماء ويقال المشورة من عزم الأمور وحزم التدبير وسمات العاقلين وقال الله جل ذكره فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وقال الشاعر

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من اهل المشورات
فالعين تبصر منها ما نأى ودنا * ولا ترى نفسها الا بمرآة

فقال ضدها ان المشورة تردد فى العزم ومفسدة فى القطع والجزم وكيف نستخلص الاراء والناس ذووا اغراض واهواء وقد قيل

وما كل ذى راى بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وقال التأنى الاناة حصن السلامه والعجلة بذر الندامه (وقد قال بعض السلف) ينبغى للأمير ان يتثبت فى كل ما ينهى اليه ويتأنى ولا يعجل حتى يظهر سره ويقف عليه ويأخذ بأدب سليمان عليه السلام فيما حكاه الكتاب المبين حيث قال سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين وفى الخبر التأنى من الرحمن والعجلة من الشيطان ومن امثالهم من تأنى نال ما تمنى وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى ام الندامة لأن صاحبها يقول قبل ان يعلم ويجيب قبل ان يفهم ويعزم قبل ان يفكر ويقطع قبل ان يقدر ويحمد قبل ان يجرب ويذم قبل ان يخبر ولن تصحب هذه الصفة احدا الا صحب الندامه وجانب السلامه ويروى للنابغه

الرفق يمن والاناة سلامة * فتأن فى أمر تلاق نجاحا

وللقطامى

قد يدرك المتانى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

فقال ضده فقد قال بعض ذوى الالباب اياكم والتأنى فان الفرص تمر مر السحاب ومن مأثور

الكلمات خير البر أعجله وللتأخير آفات وكم امر اخرته عن وقته ففات وقد قال الشاعر

ومما فات بعض القوم قصدهمو * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا وقال الآخر

عيب الاناة وان طابت عواقبها * ان لا خلود وان ليس الفتى حجرا

فقام العدل والاحتياط ووقفا في وسط البساط وانشدا قول الشاعر

القصد أولى من بلوغ الغايه * وكل شئ فالى نهايه وقول الآخر

الاقتصاد في الامور مملكه * والخرق شؤم وعنى ومهلكه

ثم قالا قد أفصح الحاضرون عن آرائهم على تباين انحائهم وتخالف اغراضهم واهوائهم ولا يخلو الناس من قاسط ومقسط ومفرط في الأمور ومفرط ولكن لا يغب عنك ان حب التناهي غلط وان خير الامور الوسط كما وردت به الاخبار ودل عليه النظر والاعتبار

فلا تغل في شئ من الامر واقتصد * كلا طرفي كل الأمور ذميم

فالشجاعة مثلا افراطها طيش وتهور والتفريط فيها جبن وخور وكلاهما باتفاق العقلاء واجماع الفضلاء رذيله والتوسط بينهما هو الشجاعة المقبوله وهي الفضيله وهكذا الجود مثلا افراطه اسراف وتبذير والتفريط فيه شح وتقتير وكلاهما ذميم مقدوح والتوسط بينهما هو الجود الممدوح والشهوة مثلا افراطها شره وفجور وتفريطها خمود والتوسط بينهما بالعفة والاستقامة هو الفضيلة وهو المقصود والغضب افراطه حدة تجر لظلم الأنام وتفريطه بلادة تؤدي الى الانظلام وكلاهما قبيح مذموم والتوسط هو الممدوح في جميع الأحكام فعلم من هذا المقال ان الفضيلة في جميع الاحوال مقصورة على مركز الوسط ونقطة الاعتدال والانحراف عن الوسط المذكور لاحد الطرفين نقص وضلال ووقوع في الوبال فهو الصراط المستقيم المسلوك للمهتدين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وانما يكثر الوقوع في الغلط لمزيد الصعوبة في تعيين الوسط فهو في نفس الأمر ارق من الشعر وهو جسر ممدود على متن جهنم الشر والخطر موصل للسلامه كما ان صراط الآخرة مضروب على متن جهنم السعير موصل لدار المقامه ومحل الكرامه والمرور على ذلك الصراط الأخروي لازم للمرور على هذا الصراط الدنيوي فمن وافق صراط الاعتدال

في دنياه في جميع الاحوال وافق الحق وفاز بالمرام ومر على صراط الآخرة يوم القيامة كلمحة البرق الخاطف الى دار السلام ومن انحرف عن صراط الاعتدال ذات اليمين او ذات الشمال وقع في الدنيا في نيران مساوي الاخلاق والاعمال وانحرف كذلك عن صراط الآخرة فوقع في نار العذاب والنكال ومن تمسك بهذا الصراط صراط الاعتدال المذكور مع التقصير بالانحراف عنه والعود اليه في بعض الامور نفسه في دنياه ببعض سوء الاعمال وكان عقباه حسن المآل فهو كذلك بهذه الحالة عند سلوك صراط الآخرة لا محالة فلا يزال يسقط ويرتفع ويقوم ويقع حتى يصل دار الثواب وينتهي لحسن المآب ولذا قال بعض الاولياء ان المرور على الصراط في الحقيقة انما هو في هذه الدنيا الحاضرة وذلك لما علم من انه على حسبه يكون المرور يوم القيامة على صراط الآخرة فالسعيد السعيد من راعى الاعتدال في جميع الاقوال والافعال والاحوال ثم الاعتدال في كل زمان او مكان بحسب حاله وبالنسبة لكل انسان على حسب ما ينبغي له ولامثاله فرب امر ممدوح في زمان دون زمان او مذموم في مكان دون مكان او ممدوح بالنسبة لانسان ومذموم بالنسبة لانسان وقد ورد عن قوم من الصحابة انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال فقال لبعضهم الصلاة ولبعضهم الحج ولبعضهم الجهاد بحسب اختلاف الاحوال وقد أنشد أحد الصحابة الكرام بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الأمر اصدرا

فاعجب رسول الله ﷺ بشعره وقال له لا يفضض الله فاك فلم تسقط اسنانه طول عمره وقال صالح بن جناح اللخمي

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل في بعض الاحايين احوج *
* ولي فرس للحلم بالحلم ملجم * ولي فرس للجهل بالجهل مسرج *
* فمن رام تقويمي فاني مقوم * ومن رام تعويجي فاني معوج *
* وما كنت ارضى الجهل خلا ولا اخا * ولكنني ارضى به حين احرج *
* فان قال بعض الناس فيه سماجة * فقد صدقوا والذل بالحر اسمج

وقال ابرهيم ابن المهدي

* اذا كنت بين الحلم والجهل واقفا * وخيرت انى شئت فالحلم افضل *
* ولكن اذا انصفت من ليس منصفا * ولم يرض منك الحلم فالجهل امثل *

اذا جاءنى من يطلب الجهل عامدا * فانى ساعطيه الذى جاء يسال
ولم اعطه اياه الا لانــه * وان كان مكروها من الذل أجمل

وقال ابو الطيب

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندا

ثم قال اذا تقرر ما ذكرناه وعلم ما قررناه فمقتضى الاعتدال فى أمر الأجنبى الذى بلغنا عنه ما سمعناه ان ننظر فيما نقل عنه ونتامل لفظه ومعناه ونعامله بما يقتضيه من سلم وقتال وجلاد وجدال على حسب الأمر ان خير الخير وان شرا فشر وهكذا ينبغى ان يكون حال النا مع غيره فنسير مع كل احد من الناس بحسب سيره فلا نسىء الا من اساء ولا نجازى الا حق الجزاء ولقد تاملت فيما نقل عن هذا الاجنبى الينا فلم اجد فيه ما يؤخذ من التهاون بنا او التطاول علينا فلا نبغى عليه لئلا نكون من الآثمين ولا نظلمه بغير جرم فان الله لا يحب الظالمين ثم تلا قوله تعالى يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا اَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ فنهض الانصاف ورفع الخلاف وصدق كل ما قاله العدل واتى من بديع البيان بالقول الفصل و قامت ايضا الاستقامة فصدقت وتلتها الحقانية فاثبتت الأمر وحققت الا ان الملك لم يزل مترددا فى امره شاكا فى خير الأمر وشره فكان يقدم رجلا ويؤخر اخرى ولا يدرى أى الامرين احرى فقالت البصيرة الآن لم يبق للتردد مكان وقد وضح الصبح لمن له عينان وقد تميز الحلى من العاطل وجاء الحق وزهق الباطل وقد تحققت بحمد الله الحقائق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق فدع التراد وعلى الله الاعتماد *

اذا كنت ذا راى فكن ذا عزيمة * ولا تك بالترداد للراى مفسدا

ولا يجوز اتباع ما ابدته الاغراض النفسيه من آرائها المدخوله مع وجود ما ابدته الحقانيه والاستقامة من الصورة المقبوله والأدلة المعقوله اما علمت ان متابعة الفجار ومطاوعة الأشرار مشاركة لهم فى الشرور وتباعد عن منازل السرور ثم صارت تبرز من القوانين الساطعه والبراهين القاطعه ما ابطلت به تلك الآراء السقيمه ونهت الملك عن العود الى موافقة تلك الاهواء العقيمه فهذا احسن المسالك وانتهى الأمر على ذلك قال الحاكى ثم اقبل شيخ وقور يلوح على اسارير وجهه النور ويظهر عليه الحمية والنخوه وتسايره الاستقامة وتتقدمه الشهوه اسمه التأهل والازدواج وامره كثير الرواج فدخلت به الشهوة على الملك جهرا واهدته على يديه فاكهة وزهرا

فالتفت الملك الى البصيرة ليستشيرها ويستخرج في امر هذه الحادثة ضميرها فلما رأت مع الشهوة التأهل والاستقامه قالت هذه علامة الخير والكرامه وهذا مما نريده ولا نأباه فاذا عزمت فتوكل على الله فعطف الملك نحو الشهوة زمامه وقبل ما وضعته من الزهر والفاكهة امامه ثم خرجت من بين يديه ورجعت بعد برهة اليه يكنفها السكر واضرابه والنكر واترابه والأفعال الرديئه والاحوال الدنيئه وبينهم كتم الاسرار بعضهم على اليمين والبعض على اليسار فتقدمت بهم امام السلطان وقامت بينهم مقام الشيطان ومعها شئ كالعلبة المقفلة تبديه وتقدمه الى حضرة العقل الحاكم وتهديه وكتم السر يشير له بوضع اصبعه على فيه بانه يحفظ هذا الأمر ويخفيه فلا يظهر ما فيه فمال الملك لقبول هذه العلبة المهداة اليه لولا نهضت العفة فتمثلت بين يديه واختطفت تلك العلبة من الشهوه وضربت بها الارض مع شدة ونخوه فلما رآها الحياء احمر لونه خجلا وستر وجهه بفضل كمه عجلا وتأوه متضررا وصاح متضجرا والعقل غير مقلع عن الميل للهدية المذكوره مطمئن بما اشار اليه كتم السر من عدم ظهور هذه الصوره حتى انه اراد ان يرفعها عن الارض اليه فلم تتمالك البصيرة ان قامت واقبلت عليه ثم قالت ما هذا التسرع الى الشر والتهالك على هذا الأمر الم تعظك مرارا النفس اللوامه الم تعلم ان عاقبة هذه الامور الندامه الم تدر انه لابد للزمان من ابدائها وان بذلت غاية الجهد في اخفائها

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

الا نذكر ان عقباها في هذه الدنيا العار وعقابها في الآخرة عند الله النار الم تسمع قول من قال

كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

اما تستحي من الله من ركوب هذه الآثام اما في طيب الحلال غنية عن خبث الحرام ثم ما زالت به حتى رجع عن قصده واخرج الشهوة المحفوفة باولئك القوم من عنده (قال الخيال) فلما رايت هذه الأمور داخلني الفرح والسرور وذلك لكثرة انتصار البصيرة على اعدائها ونصرتها لها عن اصدقائها واودائها ومحاباة الحاكم لمرائها وانجذابه الى موافقة ارائها ثم اني التفت لدليلي الفراسة مكلما وقلت له مستفهما ومتعلما قد كنت ايها السيد النبيل والمرشد الى سواء السبيل ذكرت ان ادارة هذه الحكومة امر عسير وانا ارى الآن ان كل امرها يسير فجميع الاحوال ها هنا مستقيم والادارة بحمد الله غير سقيم نعم ارى هذه الاغراض

والشهوات لا تنفك عن تلبيسها واستجلابها الملك الى طرائق الشرور وسفاسف
الامور بسوء تدليسها ولكنه لا يخاف عليه من شرها ومكرها لكثرة ما لديه من
الوسائل والوسائط لدفع ضرها ونكرها فها هو الحياء والعدل لديه والعفة
والاستقامة بين يديه وكل يخصه بالنصح محضا ويرى ارشاده الى النجح فرضا
وناهيك بالبصيرة من ناصحه ومشيره تهديه صائب ارائها وتهديه لحسن اجرائها
فهل يعقل مع ذلك ان يتطرق اليه مكائد الاغراض ودسائسها او يروج لديه
مفاسد الشهوات ووساوسها وما دام حال هذه المملكة جاريا على ذلك الاسلوب
فهل يمكن ان تتعسر ادارة امورها على الوجه المطلوب قال اراك لم تزل تنظر الى
ظواهر الاحوال وتقضي في كل ما رايته بموجب الظن والاحتمال ثم اشار الى الجهة
القاصيه وقال انظر لتلك المشؤمة الناصيه الآتية لهذه الناحيه اعاذنا الله
من شرها واجارنا من نفثات سحرها فانها فاجرة ساحره غادرة ماكره تسحر عيون
هؤلاء الاعيان سريعا وتستغفل بقوة مكرها الناس جميعا وهمها اخلال الامور
في هذه المملكه وايقاع من بها من الخلق في كل مهلكه وهي قادرة على هذه المفاسد
لكثرة ما لها من ذرائع المكائد فان دخلت مرة في هذه المجالس الشريفه غيرت كل ما
تراه من احوالنا اللطيفه فيختل هذا النظام ويختل حال الانام ويتبدل الخير
بالشر والنفع بالضر والحالي بالعاطل والحق بالباطل فقلت سبحان الله ماذا
عسى يبلغ سحر هذه الفاجره وهل للسحر وقع في مثل هذه الحاضرة الفاخره قال نعم
له تأثير كبير ولا ينبئك مثل خبير عندنا ساحر وساحره يترددان على هذه الحاضره
اما الاول ويسمى الامل فمنفعته لا تنكر ومزاياه في هذه المملكة اكثر من ان تذكر
فانه يحث كل احد على الاجتهاد بما يعده ويمنيه من بلوغ المراد وقد يجاوز الحد ويخالف
الاستقامة في بعض الامر ويموه على الناس بقوة ما لديه من صنائع السحر ولكننا
نطويه على غره ولا نعارضه في كل امره بل نعينه في احواله بترويج بعض اقواله
اذ لولا وجود هذا الامل وما له في عقول الانام من العمل لنظروا الى ان هذه الدنيا
باطله وحينئذ تصبح امورها عاطله فلا ترى فيها من العمارة والانتظام ما ترى
وقد ورد لولا الامل ما ارضعت ام ولدا ولا غرس غارس شجرا نعم في الناس من يعرض
عن هذه الدنيا بعلة فنائها ويرجح الموت على الحياة فيما بين ابنائها فهو لا ينظر
الى الامل ولا يعول على العمل ولكن هذا القبيل نادر قليل واكثر الناس قائلون
بالاعمال مائلون الى بضائع الآمال حتى ان الحقيقة في كثير من الامور قد نستعين

بالامل المذكور واما تلك الساحرة فاسمها الغفله ودأبها الشر في التفصيل والجمله
وقد عمت هذا العالم بكيدها وصيرت كل بني آدم في قيدها فما دخل في هذه الدنيا احد
وان جل الا كان لها عليه تسلط وان قل الا ان حفه الله بالعصمه واستخلصه من هذه
الوصمه ومن عجائب سرها وغرائب سحرها انها تدخل كل مكان ولا يراها احد يكون
من كان حتى انها لتستولي على الرجل قسرا وتمتلكه اقتناصا وأسرا وتحكم على بصره
وبصيرته وتتحكم في ظاهره وسريرته فلا يرى الا ما تريه ولا يجري الا حيث تجريه
ولا ينقلب الا في يديها ولا ينصرف عنها الا اليها وهو مع ذلك لا يراها ولا يشعر بأمرها
ولا يحس بأنه في حوزة ملكها وقبضة قهرها حتى لو نسبه ناسب اليها او دله احد مرة
عليها لتبرأ منها ونزه نفسه عنها وزعم انها لا سبيل لها عليه وأنها لم تصل في مدة عمره
اليه وهذه الساحرة من اعظم الأضداد للحقيقة الأصليه وأكبر الأعداء لي وللاستقامة
العقليه وكثيرا ما تتشكل بصورة الاستقامة المذكوره وتحتيل على ترويج زورها
على الناس بهذه الصوره وتدخل فيما لا يحصر من الهيآت والصور وكذلك تصور
كل شئ بغير صورته وتخيل بقوة السحر أنه على اصل هيئته فتجلو الحق في صورة الباطل
والباطل في صورة الحق وتبدي الصدق في هيئة الكذب والكذب في هيئة الصدق
فلا يتميز الأصل من الفرع ولا البدعة من سنة الشرع وهكذا تضل بسحرها القلوب
وتخرج العقول عن نهج الاستقامة المطلوب حتى أنها في بعض الأحيان تستغفل
البصيرة مع قوة ادراكها وتستدرجها بقوة السحر حتى تقع في حبائل اشراكها لكنها
جعل لي الله سبحانه من الفطرة الملكيه وما اتاني بقدرته من شدة القوة الادراكيه
لا يروج لدي زورها ولا تلتبس علي أمورها فانا اعرفها حق معرفتها على تغير شكلها
واختلاف صفتها وانصبها دائما على رؤس الأشهاد واريد ان لا يقع في شرك شرها
العباد ولكن ما كل مره تسلم الجره فانها قد يغلب باطلها على حقي ويرجح الناس كذبها
على صدقي وانا اناديهم فلا يسمعون واناجيهم بالحقيقة فلا يعون وانبههم
فيغفلون وافقههم فلا يعقلون وها أنا بما في من القوة الملكيه اريكها براي العين
لتبصر ما لها مع الخلق من وساوس المكر ودسائس المين فها هي تتهيأ لأمر جسيم
وتتجهز لايقاع سحر عظيم تعد له الحبال والعصي لتسحر الداني به والقصي قال فبقيت
متحيرا من عبارته ثم نظرت الى موضع اشارته فاذا ساحرة شريرة خبيثة تضع
على وجهها نقاب المكر وفي يدها عصا السحر تقذفها الى جو السماء ثم تتلقفها من الهواء
وهي تتلون تلون الحرباء وتتلاعب بجميع الأشياء وعليها ثياب غريبة الأشكال فيها

من

من كل شكل ولون مثال ورايتها تتباهى بزينتها ووشيها وعليها جلاجل كثيرة تصطخب عند مشيها ولكن حجبت دونها المسامع والابصار فلم يكن يشعر بها احد من الخفا والحاصل ان هذه الساحرة جاءت فدخلت بين من حضر وجعلت تمس بعصاها السحرية كل من ادركت بالنظر فصارت صور القوم عند ذلك تتغير وهيآتهم تتبدل لقوة سحرها وتتنكر ورايت الاشياء تنقلب الى صور اضدادها وغيرها حتى التبس ضرها بنفعها وزورها بحقها وشرها بخيرها فصار حب الجاه في صورة علو الهمم وصار السرف والتبذير في صورة الجود والكرم وصار الشح والتقتير في صورة حسن التدبير وصار الفسق والفجور في صورة الانس والحبور وصار الخداع والنفاق في صورة المداراة والوفاق وصار الظلم في صورة العدل وكذلك الفضول في صورة الفضل والرياء في صورة الصلاح والخسران في صورة الفلاح وهكذا الى غير ذلك بحيث لم يبق احد في حالته الأوليه واغتر الخلق بهذه الصور المبدلة واشتبهت بالصور الأصليه ولحق ذلك التبديل والتغيير فتنة في الأرض وفساد كبير فاجتمع الهوى مع الاغراض الدنيئه والشهوة والخصال الرديئه وجاءت قضها بقضيضها من اوج المملكة وحضيضها وحشدوا عند العقل الحاكم وهم في هيئات الفضائل والمكارم وصار كل يعده ويمنيه ويغريه بما الاخير فيه فكانوا يسوقونه للفاسد في صورة الصحيح ويشوقونه للقبيح مستورا بشعار المليح وما منهم الا من يجريه الى جهته ويدلي اليه بشبهته واللغط بينهم مرتفع والمتكلم اكثر من المستمع حتى صارت اصوات العدل والحقانية والاستقامه لا تسمع بحضرة العقل الحاكم في اثناء تلك القيامه لاسيما وقد غلب الشر والباطل والنقص على الخير والحق والكمال وابعدوا هؤلاء المغلوبين عن حضرة الملك العقل في الحال وكانت البصيرة رات امامها البطاله فظنت انها الراحة في تلك الحاله فاستندتها وضمتها اليها ونامت معها كأنما اغمي عليها فلم يبق في ديوان العقل من يرشد الى الحق من اهل الفضل غير ان أولئك المغلوبين كانوا ينادونه بالنصح من بعيد ويقولون لا تغتر بهذه الاحوال الباطلة ايها الملك السعيد فصار مترددا بين موافقة الاغراض ومخالفتها متحيرا في انكار هذه الاصوات البعيدة ومعرفتها وما زال على هذه الحال حتى قويت الاغراض المذكورة فجذبت قلبه اليها ولم يبق الا ان يطيعها بالفعل ويعول عليها فعند ذلك ظهرت آفة الملوك القاطعة لهم عن مناهج البر وحسن السلوك تدير عليهم كؤس الغرور وتجرهم الى انواع الشرور فتوقعهم

في المعاطب وسوء العواقب فتملكهم وهم لا يدرون وتهلكهم وهم لا يشعرون الا وهي الملعونة الكاهنه المعروفة باسم المداهنه فجاءت وفي يدها مبخرة ملأت رائحتها الرؤس وفعلت بكل ما نالته ريحها ما لا تفعل الكؤس فدخلت تنشر روائحها وتزخرف للناس قبائحها وهي تتكلم بالفصاحة التامه وتحاكي في كلامها صوت الافكار العامه وتحدث كل احد بما يعجبه وتثني عليه بما يطربه فدخلت مثل الشيطان في مجلس العقل السلطان وهي تقول ايها الملك القادر والسلطان القاهر باعدتك الاكدار وساعدتك الاقدار ولازال يسعدك البخت ويسعد بك التاج والتخت اراك بحمد الله قد صفا لك الملك وحاق بجميع اعدائك الهلك فليس لملكك زوال ولا لك في الخليقة امثال وقد نلت من كل امل اشباه وعملت من كل عمل اسماه ولم يبق الا ذخائر اللذات تقتنيها واخائر الشهوات تجتنيها واراك قد ملت لذلك ولا ضير وما زال في رأيك الخيرة والخير فالامر مأمون وحسن العاقبة مضمون ويا صدق ما قيل ان الحكام ملهمون وقد اجتمع هؤلاء الاكارم ارباب الفضائل والمكارم وما فيهم الا نصوح شفيق اكثر حبا لك من الوالد والشفيق وكلهم بذلك يشير والطالع بسعدك بشير فوافق اشارة الجمهور ولا تؤخر فرص السرور

واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وما زالت تنمق له المقال وتخيل له الهدى في الضلال حتى انقاد للشهوات يعمل برضاها ويسمع آراءها فيحكم على مقتضاها فصار في الحقيقة اسيرها وقد كان قبل ذلك اميرها وهكذا تفعل المداهنة مع من يقبلها من السلاطين وكذلك قرناء السوء الشياطين وعند ذلك اشتد اشتعال نار الاختلال وانتشر شرر الشر في جميع المجال فضعف امر تلك الدولة وانحل واعتل جسم المملكة واختل حتى اشرفت على التلف كلها وكاد ان يمحي من هذا العالم اصلها

(قال الخيال) ولم يكن من دليلي الفراسة في خلال هذه الاحوال غير التأسف على ما صارت المملكة اليه من الوبال وسوء المآل وكأنما قطع من فلاحها الآمال وازمع التغافل والاهمال قال فاخذتني الحمية والغيره وقلت له بالله ما هذه الحيره ولم تسكت على هذا اليأس واي ثمرة تؤمل في اليأس فقم بنا على اقدام الاقدام ولنشمر عن ساعد الاهتمام حتى نغيث هذه الامه ونزيح عنها بعون الله

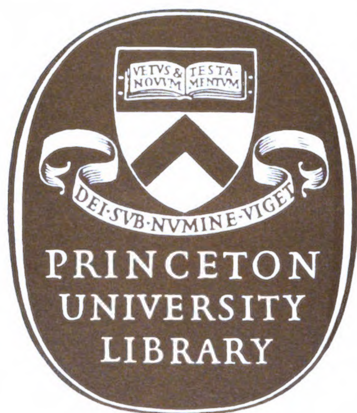
النمه ففي الوقت بقية امكان وعلى الله تعالى التكلان وهذه البصيرة قد استيقظت من منام غفلتها ووقفت على حقائق الأمور تفصيلها وجملتها وهي ملتفتة الينا وها هي قادمة علينا فقال انما كنت ارقب هذه الفرصه للاشتغال باساغة هذه الغصه (قال الخيال) ثم انا لقينا البصيرة في اثناءها في ذلك الشان ومضينا ثلاثتنا على الفور الى حضرة العقل السلطان وابدت الصحة حقيقة الحال في مرآتها وعرفته ما فعلته الغفلة من تبديل صور الجماعة وهيآتها ثم ارسلت البصيرة فاحضرت الندامه واستحضرت معها ايضا النفس اللوامه فأدبت بواسطتها الحاكم المشار اليه واعادته ثانيا الى ما كان قبل ذلك عليه وغلبت البصيرة على الغفلة فهزمتها وازاحت خيالات سحرها الموجودة وحسمتها وزال الاختلال والفساد من كل مكان وعاد كل شئ لاصل صورته الحقيقية كما كان (قال الخيال) فلما ابصرت ما صار من هذا الظفر والانتصار تخيلت ان الظفر المذكور انما هو ثمرات سعيي المشكور فداخلني ما لم احصه من السرور ومثله من الخيلاء والغرور فتركت الدليل ظهريا وصيرته نسيا منسيا وصرت امشي وحدي مليا حتى عن لي القعود على تخت الاستقامة العقلية فمشيت اليه وصعدت مع كمال التمكين والوقار فاستويت عليه فضحكت الصحة علي واشارت من بعيد الي ان اخطأت واخطأتك الكرامه هذا تخت البلاهة لا تخت الاستقامه فضحك علي من في المجلس مقهقها وقمت عن التخت فوقفت متدهدها واعتراني من الخجل والحياء بقدر ما كان عندي من الغرور والخيلاء وسرت اجر رجلي والخلق يضحكون علي وتبعتني النفس اللوامة على القدم وصارت تضربني بسياط الندم حتى تبت ورجعت واعتذرت بقدر ما استطعت فعدت من حيث اتيت وقد وعيت كل ما رايت واردت ان يبقى تبصرة للأنام فحكيت ما رأيته

بالتمام

م

بحمد مولانا خالق البريه من خصهم بالعقول الزكيه تمت هذه المقامة السنية الفكريه في المملكة الباطنيه المزرية بالمقامات الحريريه ولعمري لو اطلع الحارث بن همام على هذا السحر الحلال وبديع المقال مع رقة الالفاظ ودقة الأوعاظ للزم محلة بني حرام ولم يتعرض للرواية في هذا المقام ولقد فاز بطبعها ونشرها واذاعة حلال سحرها بين اهل الادب من ابناء العرب حضرة ملتزمها حسن علي المنيلاوي المطبعجي وقد طبعها بيده فجاءت فريدة في بابها نافعة لطلابها من أهل الذوق والأدب ومن تهمهم مطالعة الكتب وذلك في شهر ذي القعده سنه ١٣١٥ هجريه الموافقه لسنة ١٨٩٨ ميلاديه في شهر مارث وهي مصححة ومقابلة بغاية الضبط عند طبعها لقصد تحسين وقعها ادام الله على مؤلفها من النعمة اعمها ومن السعادة اتمها آمين وقد كتبت بيد الفقير المتوكل على مولاه ابو طالب عبد الله غفر له آمين

م


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


Princeton University Library
32101 077778163